



حراره

بقلم : احمد طنط

الحرية .. والكرامة !! !!

ظللت القضية الفلسطينية لما يقرب من نصف قرن موضوع مزايده في العالم العربي، فقد (زايد) عليها الحكم العرب فيما بينهم للتنافس على الزعامة، وزايدوا عليها أمام شعوبهم ليشغلوا بها عن الحكم المطلق الذي مارسوه (وليخلقوا) قضية يوجهوا اليها غضب الشعب بدلاً من أن يتوجه هذا الغضب نحوهم ونحو انظمتهم. ولقد سمعنا - هنا في مصر - شعاراً يقول بأنه لاصوت يعلو على صوت المعركة، وبذلك استراح الذي أطلق هذا الشعار من أصوات المطالبين بالحريات السياسية، والحكم الديمقراطي، وسيادة التسعـد، بل إن النظام السـموـى اتهم المطالبين بالحرية وبالديمقراطـية بأنـهم من (أعداء الشعب) وأعوان الرجعـية وعملـاء الامـبرـاليـة، إلى غير ذلك من الشـعـاراتـ التي (تفـوقـ) الطـفـاةـ في اختـرـاعـهاـ لـتشـويـهـ الوـطـنـيـينـ ومـمارـسةـ الـأـرـهـابـ الـفـكـرـيـ ضدـ اـصـحـابـ الرـأـىـ، حتى لا يـرـتفـعـ صـوتـ الاـصـواتـ الـطـاغـيـةـ، ولا يـسـمعـ أحدـ رـأـياـ الـأـرـاـىـ الـحـاـكـمـ الفـرـدـ.

بل إن القضية الفلسطينية قد ظلت طوال الخمسين عاماً الماضية موضوع مزايـدةـ بينـ الـاطـرافـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ الـمـتـنـافـسـةـ فيما بينـهاـ عـلـىـ السـلـطـةـ وـعـلـىـ تمـثـيلـ الشـعـبـ الـفـلـسـطـيـنـيـ الـىـ حدـ التـصـفيـاتـ الـجـسـديـةـ، فـضـلـاـ عـنـ الـاتـهـامـاتـ الـمـتـبـارـلةـ بـالـخـيـانـةـ وـالـعـمـالـةـ (وـقـبـضـ) الـامـوـالـ مـنـ هـنـاـ وـهـنـاكـ. ولـقدـ تـحـمـلـتـ مصرـ النـصـيبـ الـأـكـبـرـ مـنـ هـذـهـ الـمـزـايـدـاتـ، فـإـذـاـ اـصـدـرـ الـمـلـكـ السـابـقـ فـارـوقـ اوـامـرـهـ بـدـخـولـ الـجـيشـ الـمـصـرىـ حـربـ فـلـسـطـيـنـ الـأـوـلـىـ عـامـ ١٩٤٨ـ، فـمـصـرـ فـيـ رـأـىـ (الـاخـوـةـ الـعـرـبـ) قـلـعـةـ الـعـرـوـةـ وـحـصـنـهاـ الـمـنـيـعـ، اـمـاـ اـذـاـ تـزـمـتـ مصرـ بـقـرـاراتـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ بـوـقـفـ اـطـلـاقـ النـارـ، فـهـىـ فـيـ رـأـىـ (الـاخـوـةـ الـعـرـبـ) قدـ خـضـعـتـ لـلـقـوـىـ الـكـبـرـىـ وـخـانتـ الـقـضـيـةـ !!ـ وـإـذـاـ (تـورـطـ) مصرـ فـيـ حـربـ عـامـ ١٩٥٦ـ بـعـدـ خـدـيـعـةـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـتـيـ وـعـجـزـ اـجـهـزةـ الـمـخـابـراتـ فـيـهاـ، فـانـ مـصـرـ فـيـ رـأـىـ (الـاخـوـةـ الـعـرـبـ) تـؤـدـيـ دورـهاـ التـارـيـخـيـ مـنـ اـجـلـ الـقـضـيـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ، لـكـنـهاـ عـنـدـماـ تـسـتـرـزـفـ مـوـارـدـ شـعـبـهاـ فـيـ هـذـهـ الـحـرـوبـ، وـتـفـقـدـ أـلـافـ الضـحـاياـ مـنـ اـبـنـائـهاـ فـانـهاـ فـيـ رـأـىـ (الـاخـوـةـ الـعـرـبـ) كـانـتـ تـدـافـعـ عـنـ (نـفـسـهاـ) ضدـ المـطـامـعـ الـتوـسـعـيـةـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ وـالـتـهـدـيدـ الصـهـيـونـيـ بـالـوـصـولـ إـلـىـ مـجـرـىـ النـيـلـ...ـ وـعـنـدـماـ حـقـقـتـ مـصـرـ نـصـراـ عـسـكـرـيـ مـذـهـلاـ فـيـ حـربـ اـكـتـوـبـرـ، لـامـهاـ بـعـضـ (الـاخـوـةـ الـعـرـبـ) لـأـنـهاـ لـمـ تـطـلـعـهـمـ عـلـىـ خـطـطـهـاـ وـتـعـرـضـ اـمـنـهاـ وـسـلـامـةـ جـنـودـهاـ لـلـخـطـرـ، ثـمـ لـامـهاـ (الـاخـوـةـ الـعـرـبـ) لـأـنـهاـ تـوـقـفـتـ عـنـ القـتـالـ قـبـلـ اـنـ تـصـلـ جـيـوشـهاـ إـلـىـ تـلـ اـبـيـبـ لـتـلـقـىـ بـالـيـهـودـ فـيـ الـبـحـرـ !!ـ وـتـقـدـمـ اـرـضـ فـلـسـطـيـنـ باـكـمـلـهاـ إـلـىـ الـذـيـنـ لـمـ يـحـارـبـواـ عـلـىـ صـنـيـةـ مـنـ الـفـضـةـ، حـتـىـ لوـ غـامـرـتـ مـنـ اـجـلـ ذـكـ بشـعـبـهاـ كـلـهـ وـبـأـرضـهاـ كـلـهاـ...ـ أـمـاـ (المـزـايـدـةـ) الـكـبـرـىـ فـكـانـتـ عـنـدـماـ وـقـعـتـ مـصـرـ مـعـ اـسـرـائـيلـ مـعـاهـدـةـ كـامـبـ دـيفـيدـ الـتـىـ اـسـتـرـدـتـ بـهـاـ جـمـيعـ اـرـضـهاـ الـمـحـتـلـةـ، وـوـضـعـتـ مـنـ خـلـالـهاـ اـسـسـ الـحلـ الشـامـلـ الـعـارـبـيـ شـعـارـاتـ الصـمـودـ وـالـنـصـرـ، وـالـحلـولـ الـتـضـفـيـةـ، وـالـاـتـفـاقـاتـ الـانـفـرـادـيـةـ، إـلـىـ غـيرـ ذـكـ منـ الـعـبـارـاتـ الـرـنـانـةـ الـتـىـ لـاـ تـعـيـدـ شـبـرـاـ وـاحـدـاـ مـنـ الـأـرـضـ الـمـحـتـلـةـ لـاصـحـابـهـ اوـتـسـاـهـمـ وـلـوـ بـخـطـوـةـ وـاحـدـةـ نـحـوـ حلـ النـزـاعـ، وـقـيلـ -ـ وـقـتهاـ -ـ عـنـ تـحـرـيرـ سـيـنـاءـ اـنـ مـصـرـ قـاـيـضـتـ الـمـبـادـئـ بـحـفـنةـ مـنـ الرـمـالـ...ـ وـفـيـ يـوـمـ ١٣ـ سـبـتمـبرـ مـنـ عـامـ ١٩٩٣ـ وـقـعـتـ الـفـلـسـطـيـنـيـونـ وـالـإـسـرـائـيـلـيـونـ اـتـفـاقـ السـلـامـ فـوـقـ نـفـسـ الـمـائـدـةـ الـتـىـ وـقـعـتـ عـلـىـهاـ مـعـاهـدـةـ كـامـبـ دـيفـيدـ، وـعـلـىـ نـفـسـ الـاسـسـ الـتـىـ تـضـمـنـتـهاـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـحـكـمـ الـذـاتـيـ كـخـطـوـةـ نـحـوـ تـقـرـيرـ الـمـصـيرـ، لـكـنـ الـفـارـقـ الـوـحـيدـ كـانـ فـيـ السـنـوـاتـ الـأـرـبـعـةـ عـشـرـةـ الـتـىـ ضـاعـتـ فـيـ (المـزـايـدـةـ) وـفـيـ الـاتـهـامـاتـ الـخـيـانـةـ، وـبـالـخـضـوعـ لـلـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ، الـتـىـ قـدـمـ إـلـيـهاـ الـفـلـسـطـيـنـيـونـ الشـكـرـ كـلـ الشـكـرـ يـوـمـ ١٣ـ سـبـتمـبرـ عـامـ ١٩٩٣ـ مـنـ فـوـقـ الـمـنـصـةـ الـمـقـامـةـ فـيـ حـدـيـقـةـ الـبـيـتـ الـأـبـيـضـ...ـ وـمـعـ ذـكـ فـلـنـسـ كـلـ مـاـ فـاتـ بـحـلوـهـ وـمـرـهـ، وـلـيـكـنـ شـعـارـنـاـ لـلـمـسـتـقـبـلـ اـنـهـ لـاصـوتـ يـعـلـوـ عـلـىـ صـوتـ بـنـاءـ مـصـرـ، وـلـاـ هـدـفـ يـتـقـدـمـ عـلـىـ هـدـفـ الـحـرـيـةـ الـكـامـلـةـ وـالـدـيمـقـرـاطـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـشـعـبـ مـصـرـ، فـلـمـ تـعـدـ هـنـاكـ مـعـرـكـةـ وـلـمـ تـعـدـ هـنـاكـ (مـزـايـدـةـ) وـإـنـماـ بـقـىـ فقطـ شـعـبـ يـنـاضـلـ مـنـ اـجـلـ الـحـرـيـةـ وـالـكـرـامـةـ، وـإـذـاـ كـانـتـ مـصـرـ هـىـ مـفـتـاحـ السـلـمـ وـالـحـربـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ، فـانـهـاـ يـجـبـ اـنـ تكونـ -ـ مـنـ بـابـ اـولـىـ -ـ النـمـوذـجـ وـالـقـدوـةـ فـيـ التـحـضـرـ وـفـيـ الـدـيمـقـرـاطـيـةـ وـإـنـ لاـ تـنـكـرـ هـذـاـ الدـورـ لـتـنـفـرـدـ بـهـ اـسـرـائـيلـ...ـ